مجلة المرابط

العدد : ١٨٤ الموافق في جمادى الثانية ١٤١٧ هجري ١١ / ١٩٩٦ ميلادي

عنوان المقال : لماذا يخوِّفون من الإسلام ؟!	بقلم : صلاح الدين النكدلي

يشغل هذا السؤال بال كثير من المسلمين ، الذين يطمئنون إلى أن الإسلام رحمة للعالمين ، وأنه لا مسوِّغ لمناصبته العداء. ولا يخفى على كثيرين أن ساسة الغرب لا يأخذون على المسلمين المعاصرين عجزهم عن إعطاء صورة مشرقة مشرِّفة عن تعاليم الإسلام ، وإنما ينكرون على تيار التجديد الإسلامي سعيه إلى استئناف حياة إسلامية وحكم إسلامي ، أي : رفضه للفكرة الغربية على مستوى الفكر والتشريع والأخلاق والسلوك الاجتماعي. فساسة الغرب يحاربون محاولات إحياء الفهم السليم والتطبيق الصحيح للإسلام ، ولهذه الحرب أسباب تاريخية وأخرى معاصرة.

١- الأسباب التاريخية :

يقول المستشرق الكندي ولفردكانتول سميث في كتابه « الإسلام في التاريخ الحديث » :

« إلى أن قام كارل ماركس وقامت الشيوعية ، كان النبي ﷺ - يقصد : الإسلام - هو التحدي الحقيقي الوحيد للحضارة الغربية الذي واجهته في تاريخها كله ، وإنه لمن المهم أن نتذكر كم كان هذا التحدي حقيقياً ، وكم كان يبدو في وقت من الأوقات تهديداً خطيراً حقاً ».

« لقد كان الهجوم مباشراً في كلا الميدانين : الحربي والعقيدي ، وكان قوياً جداً... فقد فقدت المسيحية دفعة واحدة... أجمل مقاطعات الإمبرطورية الرومانية... لتتسلمها منها القوة الجديدة. وكانت في خطر من ضياع الإمبرطورية بكاملها.

وعلى الرغم من أن القسطنطينية لم تقع - تماماً - في يد الجيوش العربية كما وقعت مصر وسورية ، فقد استمر الضغط عليها فترة طويلة. وفي موجة التوسع الثانية وقعت القسطنطينية بالفعل سنة ١٤٥٣. وفي قلب أوروبا المفزعة ذاتها أحاط الحصار بفيينا سنة ١٥٢٩ ، بينما ظل الزحف ، الذي بدأ عنيداً لا يلين ، مستمراً في طريقه. وحدث ذلك مرة أخرى في وقت قريب لم يتطاول عليه العهد في سنة ١٦٨٣.

وإن وقوع تشيكوسلوفاكيا في قبضة الشيوعية عام ١٩٤٨ لم يكن له قط في العصر الحديث ذلك الفزع في نفوس الغرب المتهيب ، كما كان لذلك الزحف المستمر قرناً بعد قرن ، من تلك القوة الضخمة المهدِّدة ، التي لا تكف ولا تهدأ ، ويتكرر انتصارها مرة بعد مرة ».

ويتحدث سميث عن عالم الأفكار والعقائد فيقول : « كان الهجوم الإسلامي موجهاً إلى عالم النظريات كما هو موجه إلى عالم الواقع ، وقد عملت العقيدة الجديدة بإصرار على إنكار المبدأ الرئيسي

للعقيدة المسيحية ، التي كانت بالنسبة لأوروبا العقيدة السامية التي أخذت - في بطء - تبني حولها حضارتها ، وكان التهديد الإسلامي موجهاً بقوة وعنف ، وكان ناجحاً مكتسحاً نصف العالم المسيحي تقريباً ، **والإسلام هو القوة الإيجابية الوحيدة التي انتزعت من المسيحيين أناساً دخلوا في الدين الجديد وآمنوا به... بعشرات الملايين** »

وقد سجل محمد أسد حقيقة من حقائق المجتمع الغربي في « الإسلام على مفترق الطرق » فقال : « وبسقوط القسطنطينية فُتح باب أوروبا على مصرعيه للسيل الإسلامي. وفي القرون التي تلت والتي امتلأت بالحروب ، لم تبق عداوة أوروبا للإسلام ذات أهمية ثقافية فحسب ، بل زادت أهمية سياسية أيضاً. وهذا زاد في اشتداد تلك العداوة... ولقد كانت هذه البغضاء تغمر الشعور الشعبي كلما ذُكرت كلمة... مسلم... ».

٢- الأسباب المعاصرة :

حين تجمعت في عدد من بلدان أوروبا قوة علمية وصناعية... وجد قادة تلك الدول ، السياسيون والاقتصاديون ، أن استمرار نهضتهم رهن بأمرين :

١- السيطرة على مصادر المواد الخام خارج حدودهم.

٢-ترتيب العلاقة مع الدول التي لديها ثروات ، ولا تملك قدرة على التصنيع ، بحيث تبقى تلك الدول سوقاً تستهلك ما تنتجه المصانع الأوروبية.

ورأت قوى الجشع الأوروبي أن منطقة العالم الإسلامي تحقق قسطاً كبيراً من أحلامهم الاستغلالية النهبية... فباشروا بوضع الخطط وتنفيذها ، وتمكنوا بعد جهود مضنية من تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية ، كان لها نتائج قاتلة في حياة المسلمين :

١- **إلغاء الخلافة**... باعتبارها السياج السياسي الجامع للمسلمين.

٢-**تنحية الشريعة عن الحكم**... باعتبارها المرجع التشريعي والثقافي المميز لأمة الإسلام.

٣-**زعزعة عقيدة البراء والولاء**... العاصمة من تسرب الدعوات الضالة.

ونشأت بفعل الهجمة العسكرية ، والطغيان الفكري الثقافي الغربي ، ظواهر في دنيا المسلمين... تمثلت في :

I- ضلالات عقيدية وفكرية.

II-انحرافات سلوكية.

III-شيوع الجريمة وانتشار المخدرات.

IV-بروز دول التجزئة والأنظمة الاستبدادية.

V-فرض الكيان الصهيوني في قلب بلاد المسلمين وحمايته ، تمهيداً للهزيمة النفسية الكاملة.

وفوجئ ساسة الغرب بظهور تيار شعبي نامٍ... يروم تنقية مفاهيم الإسلام من مؤثرات الماضي السلبية... ويصر على تخليصه من تزييف الحاضر... ويردد باعتزاز:

شـــريعة الله للإصـــلاح عنـــوانُ وكـل شـيء سـوى الإسـلام خـسرانُ
لمـا تركنـا الهـدى حلـت بنـا محـنٌ وهـاج للظلـم والإفـساد طوفـانُ
لا حمـورابي ولا خوفـو يعيـد لنـا مجـداً بنـاه لنـا بـالعز قـرآنُ
تاريخنـا مـن رسـول الله مبـدؤه ومـا عـداه فـلا عـز ولا شـانُ
محمـدٌ أنقـذ الـدنيا بدعوتـه ومـن هـداه لنـا رَوحٌ وريحـانُ
لا خيرَ في العيش... إن كانت حضارتنا فـي كـل يـوم لهـا تنهـدٌ أركـانُ
لا خيرَ في العيش... إن كانت عقيدتنا أضـحى يزاحمهـا كفـرٌ وعـصيانُ
لا خيرَ في العيش... إن كانت مبادئنا جـادت علينـا بهـا للكفـر أذهـانُ
لا خيرَ في العيش... إن كانت مواطننا نهبـاً بأيـدي الأعـادي أينمـا كـانوا

واهتزت مراكز " العلمانية " داخل الوطن الإسلامي... وشعر الغرب والمتغربون بأن جيل الاستقلال الثقافي قادم... فكان لا بد من تجديد الهجوم على الإسلام... في محاولة لتطويق جهود المقاومة الإسلامية... وإفساد قابليات " التحرر الثقافي " الذي يُعدُّ مقدمة طبيعية للتخلص من الوجود الخارجي في الإرادة ، والثروات ، والتشريع لواقع الحياة.

وشارك في تصعيد الهجوم على الفكرة الإسلامية جهات داخلية وخارجية... تبنت جميعها شعارات تدل على ما تنطوي عليه من إجراءات قمعية ، مثل :

❁**ضرب البنية التحتية للأصوليين**... ويعنون بذلك التضييق على المؤسسات التعليمية والإغاثية ، مثل : المدارس ، ورعاية الأيتام ، ونحو ذلك. وتخويف من يدعم مثل هذه المؤسسات بالتطرف وتمويل الإرهاب.

❁**تجفيف منابع الفكر الأصولي**... ويريدون بذلك تحوير مناهج التربية والتعليم ، ومنع انتشار الفكر الإسلامي الحر ، رغبة في تنشئة أجيال على مفاهيم ممسوخة ، تكون هذه الأجيال أدوات تعويق النهوض الإسلامي.

❁**نعم للمعتدلين... ولا للمتطرفين**... ويهدفون من وراء ذلك إلى توليد " فكر متفاهم " تحت عنوان " الواقعية " و " العقلانية " ونحو ذلك.

❋ ❋ ❋

من عرضنا السابق نخلص إلى الجواب عن السؤال المطروح :

إن الغرب والمتغربين يخوِّفون من الإسلام... لأن الحركة الإسلامية - على الرغم من كل نواقصها - قد خطت خطوات واعدة وتمكنت من تشكيل تيار عنده قابليات النمو والانتشار... يتبنى :

◊ التحرر السياسي والاقتصادي والتشريعي... في مقابل التبعية المفروضة على المسلمين في هذه المجالات.

◊ الوحدة في مواجهة التجزئة.

◊ تحرير أرض الإسلام من مستعمريها.

◊ العدل... في مواجهة الظلم والاستبداد والاستغلال المحلي والدولي.

وحين تتحرر إرادة الأمة المسلمة وأرضها ، وتتوحد ، وتنعم بالعدل ، فإن عوائق نهوضها الحضاري ستزول ، وستقدم عندئذ للبشرية نموذجاً لنظام إنساني ؛ يحافظ على مكتسبات النهضة الغربية ، ويكشف عن عوار الانحرافات والممارسات الظالمة ، ويهدي البشرية للتي هي أقوم. وهذا كفيل بلفت أنظار المنصفين من أبناء الغرب... الذين قد يسارعون إلى اعتناق الإسلام... وحمل رايته التحريرية إلى الآفاق.

لذلك فإننا نرفع صوتنا داعين حملة رسالة الإسلام إلى الاستزادة من العلم الذي يقوي بصيرتهم ، وإلى تصويب مناهج عملهم في ضوء المعرفة والتجارب ، ونحذرهم من الوقوع في أحابيل الشياطين ، الذين يسعون إلى صناعة أجواء تنمي « أخلاق المداهنة والركون إلى الظالمين » وندعوهم إلى تحمل تبعات الدعوة إلى الله تعالى ، وإلى القيام بمتطلبات عملية تحرير الإنسان ، متدبرين قول الله تعالى :

{ **لتبلونَّ في أموالكم وأنفسِكم ولتسمعنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإنَّ ذلك من عزم الأمور** } [آل عمران:١٨٦].

